

تربيـة الإمام الحسن عليه السلام

<"xml encoding="UTF-8?>

مقدمة :

يحتاج الطفل - أي طفل - إلى هندسة و موازنة بين ميوله و طاقاته ، ويفتقر إلى تربة صالحة ينشأ فيها و تصلق مواهبه . و يعوزه تنظيف لموارد الثقافة التي يتلقاها ، و الحضارة التي يتطبع عليها ، وال التربية التي ينشأ عليها . إنه عالم قائم بنفسه ، يحمل كل سمات الحياة بصورة مصغرة ، في صخبتها و أمنها ، في سعادتها و شقائها ، في ذكائتها و بلادتها ، في صفاتها و حقدتها ، في تفوقها و تأخرها ، في إيمانها وجحودها ، في حربها و سلمها ، إلخ . وهذا ما أشغال العلماء و الباحثين ، فراحوا يعدون البحوث ، ويقومون المحاضرات ، و يؤلفون الكتب ، و يوردون النظريات في مسألة (تربية الطفل) .

ون شأ من بينهم عدّة ترى أن سلوك الطفل مرتبط بالعوامل الوراثية التي يحملها بين جوانحه ، و رأى عكس ذلك آخرون . فأرجعوا كل أنماط السلوك الفردي و الإجتماعي إلى البيئة و المحيط ، و التربية و التنشئة ، و أنكروا كل أثر إلى الوراثة ينسب . و بلغ الخصام بين هاتين المدرستين في علم النفس و التربية إلى أنك ما تقاد تفتح كتاباً يتناول موضوع التربية إلا و جدته إلى إحدى المدرستين يميل ، وعن أحد الرأيين يدافع ، مفنداً الرأي الآخر . و لعلك تسأل : أي الرأيين أصح ؟ و أي العاملين في سلوك الطفل أهم : الوراثة أم التربية ؟!

فبدلاً من أن نجيبك على سؤالك هذا ، نسأل بدورنا أيضاً : أيهما أهم للسيارة : المحرك ، أم الوقود ؟! هذه هي مشكلة التربية . و سنلقي الضوء في السطور القادمة على الآثار المترتبة لسيرة الإمام الحسن (عليه السلام) من خلال هذين الجانبين المهمين .

الأول : الوراثة

ليس هناك من شك بأن للوراثة أثراً كبيراً في صياغة الفرد صياغة مكيفة بالبيئة التي انبعث منها و خلق فيها . و بيتُ أبناء أبي طالب ، كان خير البيوت لإنشاء الإنسان الكامل ، فكيف وقد ولد الحسن (عليه السلام) من عبد المطلب مرتين ، مرة من علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، و أخرى من فاطمة (عليها السلام) بنت النبي محمد (صلى الله عليه وآله) بن عبد الله بن عبد المطلب ؟ .

كما كان علي (عليه السلام) مولوداً عن هاشم مرتين ، ولا نريد أن نشرح مآثر بيت هاشم ، و بالخصوص أسرة عبد المطلب فيهم ، فإنها ملأت السهل والجبل ، بل نقول : " ناهيك عن بيت بزغ منه الرسول الأكرم محمد (صلى الله عليه وآله) ، و الوصي العظيم الإمام علي (عليه السلام) " . و حسب علم حساب الوراثة أن التأثير قد يكون من جهة الأب ، فيستصحب كل سماته و صفاته ، وقد يكون من جانب الأم ، وقد تحقق في الحسن (عليه

السلام) هذا الأخير .

فقد بزرت فيه سمات أمّه الطاهرة لتعكس صفات والدها العظيم محمد (ص) ، فكان أشبه ما يكون بالنبي منه بالإمام ، و طالما كان يطلق النبي قوله الكريم : (الحسن مني والحسين من علي) .

و قد يمكن أن نجد تفسيراً لهذه الكلمة في الأحداث التي جرت بعد الرسول (صلى الله عليه وآلـه) ، و طبيعة الظروف التي قضت عند الحسن (عليه السلام) أن يتخذ منهجه الرسول (صلى الله عليه وآلـه) أسوةً له ، دقـيقـة التطبيق شاملة التوفيق . فيعطي (عليه السلام) الناس من عفوه و صفحـه ، و يعطي أعداءه من صـلحـه و رـفقـه ، مثـلـماـ كان يعطي الرسول (صلى الله عليه وآلـه) تماماً . كما اقتضـت عند الحسين (عليه السلام) أن يبالغ في شـدـته في الدين ، و غيرـته عليه ، و يبـديـ من منعـته و رفعـته في أمـورـه ، ما جـعـلـ تـشـابـهـاـ كـبـيرـاـ بيـنـهـ وـبـيـنـ عـهـدـ عـلـيـ (عليه السلام) مع المـشـرـكـيـنـ وـالـكـافـرـيـنـ وـالـضـالـلـيـنـ .

الثاني : التربية

لقد أولى النبي (صلى الله عليه وآلـه) ، و الوصي (عليه السلام) ، و الزهراء (عليها السلام) ، من التربية الإسلامية الصالحة ما أهـلـ الإمام الحسن (عليه السلام) للقيادة الكبرى . فإنـ بـيـتـ الرـسـالـةـ كانـ يـرـبـيـ الحـسـنـ (عليه السلام) وهو يعلم ما سوف يكون له من المنزلة في المجتمع الإسلامي ، كما يوضح للمؤمنين منزلته و كرامته . فـكانـ النـبـيـ (صلى الله عليه وآلـه) يـرـفعـهـ عـلـيـ صـدـرهـ ، ثـمـ يـقـيمـهـ لـكـيـ يـكـونـ مـنـتـصـباـ ، وـيـأـخـذـ بـيـدـيـهـ يـجـرـهـ إـلـىـ طـرـفـ وجـهـ الـكـرـيمـ جـرـاـ خـفـيفـاـ وـهـوـ يـنـشـدـ قـائـلاـ : (حـزـقـةـ حـزـقـةـ تـرـقـةـ عـيـنـ بـقـةـ) . وـعـنـيـ الحـزـقـةـ : القـصـيرـ الذـيـ يـقـارـبـ الـخـطـوـ .

فـكانـ (صلى الله عليه وآلـه) يـلـاطـفـهـ وـيـدـاعـبـهـ ، ثـمـ يـرـوحـ يـدـعـوـ : (اللـهـمـ إـنـيـ أـحـبـهـ فـأـحـبـ مـنـ يـحـبـهـ) . وـيـقـصـدـ (صلى الله عليه وآلـه) أـنـ يـسـمـعـ النـاسـ مـنـ أـتـبـاعـهـ لـكـيـ تـمـضـيـ سـيـرـتـهـ فـيـ أـسـوـةـ لـلـمـؤـمـنـيـنـ ، بـكـرـامـةـ الـحـسـنـ (عليه السلام) وـاحـتـرـامـهـ .

وـذـاتـ مـرـةـ كـانـ النـبـيـ (صلى الله عليه وآلـه) يـصـلـيـ بـالـمـسـلـمـيـنـ فـيـ الـمـسـجـدـ ، فـيـسـجـدـ وـيـسـجـدـونـ ، يـرـدـدـونـ فـيـ خـضـوـعـ : سـبـحـانـ رـبـيـ الـأـعـلـىـ وـبـ حـمـدـهـ ، مـرـةـ بـعـدـ مـرـةـ ، ثـمـ يـنـتـظـرـوـنـ الرـسـوـلـ (صلى الله عليه وآلـه) أـنـ يـرـفـعـ رـأـسـهـ وـلـكـنـ النـبـيـ يـطـيلـ سـجـودـهـ ، وـهـمـ يـتـعـجـبـوـنـ : مـاـذـاـ حـدـثـ ؟ـ .

ولـوـلـاـ أـنـهـ يـسـمـعـونـ صـوـتـ النـبـيـ لـاـيـزاـلـ يـبـعـثـ الـهـيـةـ وـالـضـرـاءـ فـيـ الـمـسـجـدـ لـظـنـواـ شـيـئـاـ . وـلـاـ يـزاـلـونـ كـذـلـكـ حـتـىـ يـرـفـعـ النـبـيـ (صلى الله عليه وآلـه) رـأـسـهـ ، وـتـنـتـمـ الصـلـاـةـ ، وـهـمـ فـيـ أـحـرـ الشـوـقـ إـلـىـ مـعـرـفـةـ سـبـبـ إـبـطـائـهـ فـيـ السـجـودـ فـيـقـولـ لـهـمـ : (جـاءـ الـحـسـنـ فـرـكـبـ عـنـقـيـ ، فـأـشـفـقـتـ عـلـيـهـ مـنـ أـنـ أـنـزـلـهـ قـسـراـ ، فـصـبـرـتـ حـتـىـ نـزـلـ اـخـتـيـارـاـ) .

وـحـيـنـاـ يـصـعـدـ النـبـيـ (صلى الله عليه وآلـه) الـمـنـبـرـ وـيـعـظـ النـاسـ وـيـرـشـدـهـمـ ، فـيـأـتـيـ الـحـسـنـانـ (عليهـمـاـ السـلـامـ) مـنـ جـانـبـ الـمـسـجـدـ فـيـتـعـثـرـانـ بـثـوـبـيـهـمـ ، فـإـذـاـ بـهـ (صلى الله عليه وآلـه) يـهـبـطـ مـنـ الـمـنـبـرـ مـسـرـعاـ إـلـيـهـمـ حـتـىـ يـأـخـذـهـمـ إـلـىـ الـمـنـبـرـ ، يـجـعـلـ أـحـدـهـمـ عـلـىـ وـرـكـهـ الـيـمـنـىـ ، وـالـآـخـرـ عـلـىـ الـيـسـرىـ ، وـيـسـتـمـرـ قـائـلاـ : صـدـقـ اللـهـ وـرـسـوـلـهـ (أـنـمـاـ

أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ) ، (الأنفال : 28) ، نظرت إلى هذين الصبيّين يمشيان و يعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي و رفعتهما .

وكان (صلى الله عليه وآلـه) يصطحبهما في بعض أسفاره القريبة ، ويُردهما على بغلته من قُدّامه ومن خلفه ، لئلا يشتقا إليـهما فلا يجدـهما ، أو لئلا يشتـقا إليهـ فلا يجدـانـه .

وكان (صلـى اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ) يـشـيدـ بـذـكـرـهـماـ (عـلـيـهـمـاـ السـلـامـ)ـ فـيـ كـلـ مـنـاسـبـةـ ،ـ وـ يـظـهـرـ كـرـامـتـهـماـ إـعلـانـاـ أـوـ تـنـوـيـهـاـ .ـ فـقـدـ أـخـذـهـماـ (صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ)ـ مـعـهـ يـوـمـ الـمـبـاهـلـةـ ،ـ وـ أـخـذـ أـبـاهـمـاـ (عـلـيـهـ السـلـامـ)ـ ،ـ وـ أـمـهـمـاـ (عـلـيـهـ السـلـامـ)ـ ،ـ فـظـهـرـ مـنـ سـاطـعـ بـرـهـانـهـمـ جـمـيـعـاـ مـاـ أـذـهـلـ أـلـسـاقـفـةـ .ـ وـ دـخـلـ رـسـوـلـ اللـهـ (صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ)ـ دـارـ فـاطـمـةـ (عـلـيـهـ السـلـامـ)ـ ،ـ وـ سـلـمـ ثـلـاثـاـ عـلـىـ عـادـتـهـ فـيـ كـلـ دـارـ ،ـ فـلـمـ يـجـبـهـ أـحـدـ .ـ فـاـنـصـرـفـ إـلـىـ فـنـاءـ ،ـ فـقـعـدـ فـيـ جـمـاعـةـ مـنـ أـصـحـابـهـ ،ـ ثـمـ جـاءـ الـحـسـنـ (عـلـيـهـ السـلـامـ)ـ وـ وـثـبـ فـيـ حـبـوـةـ جـدـهـ ،ـ فـالـتـزـمـهـ جـدـهـ .ـ

ثـمـ قـبـلـهـ فـيـ فـيهـ ،ـ ثـمـ رـاحـ يـقـولـ :ـ (الـحـسـنـ مـنـيـ وـالـحـسـيـنـ مـنـ عـلـيـ)ـ .ـ وـ كـثـيرـاـ مـاـ كـانـ النـاسـ يـتـعـجـبـونـ مـنـ صـنـعـ الرـسـوـلـ هـذـاـ ،ـ كـيـفـ يـعـلـنـهـ لـإـبـنـيـهـ إـعلـانـاـ .ـ

فـذـاتـ مـرـةـ شـاهـدـهـ أـحـدـ أـصـحـابـهـ وـهـوـ (صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ)ـ يـقـبـلـ الـحـسـنـ وـيـشـمـهـ ،ـ فـقـالـ -ـ وـقـدـ كـرـهـ الصـحـابـيـ هـذـاـ .ـ عـلـمـ :ـ إـنـ لـيـ عـشـرـةـ مـاـ قـبـلـتـ وـاحـدـاـ مـنـهـمـ .ـ فـقـالـ رـسـوـلـ اللـهـ (صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ)ـ :ـ (مـنـ لـاـ يـرـحـمـ لـاـ يـرـحـمـ)ـ .ـ

وـفـيـ روـاـيـةـ حـفـصـ قـالـ :ـ فـغـضـبـ رـسـوـلـ اللـهـ (صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ)ـ حـتـىـ التـمـعـ لـوـنـهـ ،ـ وـ قـالـ لـلـرـجـلـ :ـ (إـنـ كـانـ اللـهـ نـزـعـ الرـحـمـةـ مـنـ قـلـبـكـ مـاـ أـصـنـعـ بـكـ ?ـ)ـ .ـ ثـمـ لـمـ رـأـيـ مـنـاسـبـةـ سـانـحةـ أـرـدـفـ قـائـلـاـ :ـ (الـحـسـنـ وـالـحـسـيـنـ اـبـنـيـ ،ـ مـنـ أـحـبـهـمـ أـحـبـنـيـ وـمـنـ أـحـبـنـيـ أـحـبـهـ اللـهـ ،ـ وـمـنـ أـحـبـهـ اللـهـ أـدـخـلـهـ الـجـنـةـ .ـ وـمـنـ أـبـغـضـهـمـ أـبـغـضـنـيـ ،ـ وـمـنـ أـبـغـضـنـيـ أـبـغـضـهـ اللـهـ ،ـ وـمـنـ أـبـغـضـهـ اللـهـ أـدـخـلـهـ النـارـ)ـ .ـ ثـمـ أـخـذـهـمـ هـذـاـ عـنـ الـيـمـينـ ،ـ وـذـاكـ عـنـ الشـمـالـ ،ـ مـبـالـغـةـ فـيـ الـحـبـ .ـ

وـلـطـالـمـاـ كـانـ يـسـمـعـ الصـحـابـةـ قـوـلـتـهـ الـكـرـيمـةـ :ـ (هـذـانـ اـبـنـيـ وـابـنـاـ بـنـتـيـ ،ـ اللـهـمـ إـنـيـ أـحـبـهـمـ ،ـ وـأـحـبـ مـنـ يـحـبـهـمـ)ـ .ـ أـوـ كـلـمـتـهـ الـعـظـيمـ يـقـولـهـ وـهـوـ يـشـيرـ إـلـىـ الـحـسـنـ (عـلـيـهـ السـلـامـ)ـ :ـ (وـأـحـبـ مـنـ يـحـبـهـ)ـ .ـ

وـبـرـىـءـ أـبـوـ هـرـيـرـةـ الـإـمـامـ الـحـسـنـ (عـلـيـهـ السـلـامـ)ـ بـعـدـ وـفـاةـ جـدـهـ الرـسـوـلـ (صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ)ـ فـيـقـولـ لـهـ :ـ أـرـنـيـ أـقـبـلـ مـنـكـ حـيـثـ رـأـيـتـ رـسـوـلـ اللـهـ يـقـبـلـ ،ـ ثـمـ قـبـلـ سـرـتـهـ .ـ وـمـنـ ذـلـكـ يـظـهـرـ أـنـ رـسـوـلـ اللـهـ (صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ)ـ كـانـ يـعـلـنـ ذـلـكـ إـعلـانـاـ ،ـ حـتـىـ يـرـاهـ النـاسـ جـمـيـعـاـ .ـ

وـقـدـ بـالـغـ النـبـيـ (صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ)ـ فـيـ مـدـحـ الـحـسـنـيـنـ ،ـ حـتـىـ لـكـانـ يـُـظـنـ أـنـهـمـاـ أـفـضـلـ مـنـ وـالـدـهـمـاـ عـلـيـ (عـلـيـهـ السـلـامـ)ـ ،ـ مـمـاـ حـدـاـ بـهـ إـلـىـ أـنـ يـسـتـدـرـكـ ذـلـكـ فـيـقـولـ :ـ (هـمـاـ فـاضـلـانـ فـيـ الدـنـيـاـ وـالـآخـرـةـ ،ـ وـأـبـوـهـمـاـ خـيـرـ مـنـهـمـ)ـ .ـ

وـطـالـمـاـ كـانـ يـرـفـعـهـمـاـ عـلـىـ كـتـفـيـهـ ،ـ يـذـرـعـ مـعـهـمـاـ طـرـقـاتـ الـمـدـيـنـةـ ،ـ وـنـاسـ يـشـهـدـونـ ،ـ وـيـقـولـ لـهـمـاـ :ـ (نـعـمـ الـجـمـلـ جـمـلـكـمـاـ ،ـ وـنـعـمـ الـرـاكـبـانـ أـنـتـمـاـ)ـ .ـ

وـطـالـمـاـ كـانـ يـنـادـيـ النـاسـ فـيـقـولـ (صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ)ـ :ـ (الـحـسـنـ وـالـحـسـيـنـ سـيـداـ شـيـابـ أـهـلـ الـجـنـةـ)ـ .ـ

أو يقول (صلى الله عليه وآلـه) : (الحَسْنُ وَالْحَسِينُ رَيْخَانَتَايٰ مِنَ الدُّنْيَا) .

أو يقول (صلى الله عليه وآلـه) : (الْحَسْنُ وَالْحَسِينُ إِمَامَانِ إِنْ قَاماً وَإِنْ قَعَداً) .

ولقد قال (صلى الله عليه وآلـه) مَرَّةً : (إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ، زُيْنَ عَرْشَ رَبِّ الْعَالَمِينَ بِكُلِّ زِينَةٍ ، ثُمَّ يُؤْتَى بِمُنْبَرِيْنَ مِنْ نُورٍ طَوْلَهُمَا مِائَةً مِيلًا ، فَيُوَضَّعُ أَحَدُهُمَا عَنْ يَمِينِ الْعَرْشِ ، وَالْآخَرُ عَنْ يَسَارِهِ . ثُمَّ يُؤْتَى بِالْحَسْنِ وَالْحَسِينِ ، فَيُقَوِّمُ الْحَسْنُ عَلَى أَحَدِهِمَا ، وَالْحَسِينُ عَلَى الْآخَرِ ، يُزَيِّنُ الرَّبُّ تَبَارُكٌ وَتَعَالَى بِهِمَا عَرْشَهُ ، كَمَا يُزَيِّنُ الْمَرْأَةَ قِرْطَاهَا) .

و عن الرضا (عليه السلام) عن آبائه (عليهما السلام) قال : (قال رسول الله (صلى الله عليه وآلـه) : (الْوَلَدُ رَيْخَانَتَايٰ الْحَسْنُ وَالْحَسِينُ) .

و عن رسول الله (صلى الله عليه وآلـه) : (من أَحَبَّ الْحَسَنَ وَالْحَسِينَ فَقَدْ أَحَبَّنِي ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمَا فَقَدْ أَبْغَضَنِي)

وعنه (صلى الله عليه وآلـه) : (الْحَسْنُ وَالْحَسِينُ سِيِّدَا شَبَابَ أَهْلِ الْجَنَّةِ) .

و روى عمران بن حصين عن رسول الله (صلى الله عليه وآلـه) أنه قال له : (يا عمران بن حصين ، إن لكل شيء موقعاً من القلب ، وما وقع موقع هذين من قلبي شيء قط) . فقلت : كل هذا يا رسول الله ؟ !!

قال (صلى الله عليه وآلـه) : (يا عمران ، وما خفي عليك أكثر ، إن الله أمرني بِحُبِّهِمَا) .

و روى أبو ذر الغفارى قال : رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآلـه) يقبل الحسن بن علي (عليهما السلام) وهو يقول :

(من أَحَبَ الْحَسَنَ وَالْحَسِينَ وَذُرِّيَّتَهُمَا مُخْلِصاً لِمَ تَلْفُحُ النَّارُ وَجْهَهُ ، وَلَوْ كَانَتْ دُنْوَبَهُ بَعْدَ رَمْلٍ عَالِجٍ ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ ذَنِيْباً يَخْرُجُهُ مِنَ الْإِيمَانِ) .

و روى سلمان فقال : سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآلـه) يقول في الحسن والحسين (عليهما السلام) : (اللَّهُمَّ إِنِّي أَحُبُّهُمَا ، فَأَحَبُّهُمَا ، وَأَحِبُّ مَنْ أَحَبَّهُمَا) .

وما إلى ذلك من أقوال مضيئة نعلم - علم اليقين - أنها لم تكن صادرة عن نفسه ، بل عن الوحي الذي لم يكن ينطق إلا به .

ولا زالت عنابة الرسول (صلى الله عليه وآلـه) تشمل الوليد حتى شبّ ، وقد أخذ من منبع الخير ومآثره ، فكان أهلاً لقيادة المسلمين .

وهكذا رآه الرسول (صلى الله عليه وآلـه) ومن قبله إله الرسول ، إذ أوحى إليه أن يستخلف علياً ، ثم حسناً وحسيناً .

فطّق يأْمِرُ النَّاسَ بِمَوْدَّتِهِمْ وَاتِّبَاعِهِمْ وَاتَّخَادِ سَبِيلِهِمْ ، وَلَئِنْ شَكَنَا فِي شَيْءٍ فَلَنْ نُشَكَّ فِي أَنْ مِنْ رَّبَّاهُ الرَّسُولُ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ، كَانَ أَوْلَى النَّاسَ بِخَلَافَتِهِ .